



## حيرة ما بعد الأسد

قد يلزم وقت مديد قبل ان يستطيع احد ادعاء تقديم تقويم شامل يقترب من الموضوعية لتجربة حافظ الاسد في حكم سوريا (ولبنان). وقت مديد حتى يكشف الارشيف الرسمي، ان كان متوافرا، كل ما خلناه ولا نزال من نسج دوائر خفية. وقت مديد حتى تتحرر اللسان وتزول سليقة عبادة الفرد والعائلة والبطانة، وتنقشع الالهواء، سلبية كانت ام ايجابية، التي تحكم نظرة كل واحد منا الى حافظ الاسد، على امتداد بلاد الشام، سوريين ولبنانيين وفلسطينيين. فلا شيء بديها منذ العاشر من حزيران.

لا شيء، وخصوصا البديهيات التي لا يزال يترنح على انغامها اهل التلازم في لبنان. ثبات الحكم في سوريا؟ يجوز، ولكن فقط ان تذكرنا كم كانت الكلفة غالية، وللسوريين قبل غيرهم، وكم كان الوقت ثقيلاً عليهم، فما كانوا خرجوا بعد من الثبات حتى بدأوا يتحرقون الى ما ينقذهم، وباسرع وقت ممكن، من مواته. انتقال سوريا الى موقع اللاعب الكبير في الصراع على الشرق الاوسط بعدما كانت هي في السنين الخوالي مسرح الصراع وموضوعه؟ بالتأكيد، ولكن فقط لو استطاع الاسد الراحل البقاء في هذا الموقع حتى لحظة رحيله، حتى لا نحكي عن توريثه الموقع ومقاليده اللبب به الى من ورثه.

والادهي ان "غلطة الشاطر" في قمة جنيف الاخيرة لم تؤد الى تبديد ما راكمه نحو ثلاثة عقود في الاشهر الثلاثة الاخيرة فحسب، بل جاءت تلقي اضواء قاسية على فلسفة الاسد للعبة، بما هي لعبة لا يمكن ان تنتهي وان استنفد اللاعبون اسباب اللعب. التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل؟ ان مجرد اقتناع الاجيال الجديدة بأن مثل هذا الشعار طرح ذات يوم يتطلب مجهودا كبيرا، واكبر حتى من قراءة الكتاب الذي اصدره العماد مصطفى طلاس، رفيق الدرب، تحت هذا العنوان.

تحرير جنوب لبنان؟ ما كان احد ليجادل حافظ الاسد في رصيده الكبير من الانجاز لولا تلك الريبة المريبة الغربية التي عطبت الموقف الرسمي السوري فاللبناني عندما بدا ان اسرائيل جادة في نيتها الانسحاب من الجنوب المحتل. فحتى احتكار السلاح المقاوم الممنوح من سوريا الى تنظيم واحد دون سواه ما كان ليقفل من الانجاز لو لم يبد من تلك الريبة ان ذلك السلاح ليس الا واحدة من الاوراق المفروشة او المستورة في لعبة الصراع الذي لا يمكن ان ينتهي، بل يجب الا ينتهي. استتباب السلام في لبنان؟ مشكورة عليه، مثلما يريدون، سوريا في عهد حافظ الاسد، ولكن فقط بعد ان نسلّم انها كانت من الذين لم يرضوا بالسلام الا بشروطها ورجالها، والا فعلى السلام سلام. بداية فخامة للانصاف، قد لا نجد بدأ من العودة الى عصر حافظ الاسد الاول، قبل اندلاع الحروب الالهية اللبنانية والسورية والفلسطينية، للعثور على ما قد يدوم بعده.

بداية الانفتاح عقب "الحركة التصحيحية" اذ؟ لكنها بقيت بداية ثم اصبحت خاتمة، وحلّ الانغلاق وامتزجت المصالح الخاصة بالهوس الامني عند الحرس الاقرب الى قمة الحكم، وجاء الابداء يحصدون ثمار الانفتاح والانغلاق معاً. ام حرب تشرين؟ انجاز ولا شك مباغته العدو، حتى لو اخذنا باخفاقات المرحلة الثانية من الحرب حين طاول التهديد دمشق نفسها. لكن معركة واحدة لا تختصر صراعاً مديداً، فكيف باختصار اللاسلم واللاحرب الذي سيجعله حافظ الاسد ناموسه بعد ذلك. تلك



هي المشكلة عند تقويم ما اتى به حافظ الاسد. لا تكاد تعثر على انجاز الا تضطر الى النظر اليه بالمزيد من التمهيص. ماذا يبقى اذا؟ بعد ستة اشهر على رحيله، يبقى من حافظ الاسد انه كان كل هذا الوقت الطويل ورحل، تاركاً الشام وبلادها وأهلها في حيرة من امرهم بازاء صفحة جديدة طالما رفض فتحها.

اولويات كانت ثانوية ولعل اقصى حكم يطلق على مرحلة حافظ الاسد هو ما ينطوي عليه الجهد الذي يبذله راهناً خلفه. فمهما اختلفت التقديرات حول سياسة الرئيس بشار الاسد، كيف لا يصعق المراقب عندما ينتبه الى ان اياً من الانجازات التي نسبت الى حافظ الاسد غائب عن اهتمامات ابنه اليومية. حتى لبنان بات عنواناً لمعضلة يتوجب الخروج منها بأقل كلفة. اما الاولويات، فهي كل ما كان السلف يعده ثانوياً بل مضرراً: توسيع هامش الحريات، جذب الاستثمارات، اللحاق بركاب العصرية التكنولوجية... لذا، وقياساً بحجم المقاومات التي واجه بها حافظ الاسد تحديات التحديث والانفتاح، لا يمكن النظر الى ما يحاوله خلفه بشار، على ما ينقل عنه، الا بالكثير من الروية.

اذ لا تحصل عصرنة سوريا بين ليلة وضحاها، فكيف باخراج الشرطة من الرؤوس، على ما ذهب اليه الرسام الكاريكاتوري علي فرزات؟ ولكن، اياً تكن مبررات التروي عند الرئيس الجديد، ليس هو من يتحكم في الوقت المتاح امامه. فالروزنامة ليست في يد طرف دولي يمكن التفاوض معه حتى ينسى موضوع المفاوضة، كما كان يفعل الأب. انما الروزنامة الحقيقية باتت في يد مجتمع لا يعول الامال على الرئيس الجديد الا بمقدار ما يكون مختلفاً عمّن سبقه. وعليه، تكون ميزة الورشة المفتوحة في سوريا في قدرتها على الايحاء بسرعة الانجاز. وهذا تحديداً ما غاب في الاشهر الستة الأولى من عهد الرئيس بشار الأسد، على الأقل في المقلب الرسمي، فيما اتسمت حركة المجتمع بوتيرة اخذت في التسارع.

فحتى لو وضعنا جانباً المبادرات العلنية الواضحة مثل بيان ال ٩٩ مثقفاً من اجل رفع حال الطوارئ واعداد التعددية الحزبية والتي بقيت نادرة، يبدو واضحاً ان وعي المجتمع السوري لم يعد يستسيغ بقاء "مملكة الخوف"، كما نعتها رياض الترك. بين روزنامة المجتمع وتوقيت السياسة الرسمية التي لا يزال ينتانتها الحرس القديم والبلاط الجديد، يقف الحكم في سوريا على مفترق طرق: فاما الانغلاق مجدداً والعودة الى حافظ الأسد من دون حافظ الأسد، واما البناء على ما بقي من الاسد الاول: انه كان كل هذا الوقت الطويل ورحل.

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>00-Pr-000436</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		حيرة ما بعد الأسد
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٠/١٢/٣٠ 30/12/2000
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	حافظ.اسد – بشار.اسد
	<b>Locations</b>	سوريا – لبنان – فلسطين - اسرائيل
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	سوريا – حكم.حافظ.اسد – قمة.جنيف – حروب.اهلية.لبنانية.سورية.فلسطينية – حرب.تشرين – سياسة.بشار.اسد
<b>Subject</b>		